سينما

أفلام فائزة في «كليرمون فيران»

محاكاة سينمائية لأزمنةٍ مضطربة

تتناول 4 أفلام قصيرة فائزة بجوائز من «مهرجان كليرمون فيران» فكرة وجودية تقول إنّ الإنسان الفرد رغم الكوارث والحروب يظلّ محور العالم

قيس قاسم

تُقارب أفلامٌ، فائزة بجوائز مختلفة في الدورة الـ43 لـ«المهرجان الدولي للفيلم القصير في كليرمون فيران (فرنسا)» - وقد أقيمت افتراضياً بين 29 يناير/ كانون الثاني و6 فبراير/ شباط 2021 - الفكرة الوجودية القائلة إنّه، رغم الكوارث والحروب، يظلّ الإنسان/ الفرد محور العالم. أحياناً كثيرة، تسحقه الانقلابات الكونية الكبرى، لكنّه يستبسل في استعادة مركزه. عِناده أبقى على وجوده. السينما قادرة على التقاط لحظات الانسحاق العظيمة، كوباء كورونا والهجرات البشرية. بدقائق قليلة، يُمكن لفيلم عنها تكثيف الأكثر إيلاماً وتراجيدية فيها.

جُلّ الأفلام الفائزة تقارب وضعاً بشرياً مأزوماً، يواجه الإنسان فيه أسئلة وجودية مقلقة، يقترح صنّاعها نقلها إلى الشاشة باشتغالات، تعرف جيداً شروط حِرفتها السينمائية. يُجيدون فنّ تكثيف أزمنة قصصها وتواريخها، ومنها الآنيّ، كفيلم الفرنسي جوليان غوديشو، «حبيسٌ في الخارج» (2020)، أو «إغلاق» بحسب الترجمة الإنكليزية للعنوان (جائزة الجمهور في المسابقة الفرنسية)؛ ومنها الباحث في أزمنة الهجرة ومراراتها، كرحلة الفلسطينيّ، ابن بيت لحم، الناشد وصولاً إلى ألمانيا، في رائعة المخرج البولندي داميان كوكور، «لا يزال اليوم» (العنوان البولندي)، أو «اليوم هو الآن» (2020) كترجمة غير حرفية (جائزة ترشيح الفيلم الأوروبي في المسابقة الدولية). يتشارك معه في الفكرة «نحن لسنا أمواتاً بعد» (2020)، للمخرجة جوانّ راكوتوأريسوا (جائزة أفضل أول فيلم تخييلي في المسابقة الفرنسية)، المقتربة بنصّها من هموم شاب أوكراني، يجد نفسه أمام خيارين: إما البقاء في البلد وأداء الخدمة العسكرية، أو التهرّب منها بالسفر إلى بلد أوربي آخر. بينما يقدّم فيلم التحريك «ذكرى ذكرى» (2020)، للفرنسي باستيان دوبوا (جائزة أفضل فيلم تحريك في المسابقة الفرنسية)، نفسه كمثل على النص السينمائي القصير، المتشابك زمنه مع ماضٍ يلحّ في اللحظة الراهنة على الحضور، وعلى مكاشفة تاريخ استعماري يريد أحد المتورّطين فيه التهرّب منه، ونكران ما فعله الجنود الفرنسيون من فظائع في الجزائر.

مشهد مدينة باريس، المقفرة في زمن كورونا، محزنٌ. أشباح كائنات رثّة تتجوّل، في شوارعها الفارغة، قلِقةً كأنّها تنشد وجوداً لازماً لبشر إلى جوارها. مُشرّدون ومدمنون وعبثيّون اختاروا، أو فرضت عليهم الحياة نمط عيش هامشي. طفيليّو المدن الكبرى نتاجها. من دونهم، لا يستقيم معنى حيَويتها الباهرة. إلى وجودهم الغريب، في زمن يهرب الجميع فيه إلى بيوتهم، يلتفت الوثائقي «إغلاق» (24 دقيقة)، مقترباً منهم في زوايا ومخابئ «سرّية» صنعوها لأنفسهم. ينقل أحاسيس بعضهم، وهم يواجهون فراغاً مفزعاً يهدّد وجودهم، من دون أن يكترث أحدٌ بهم.

ذلك الإحساس بالوحدة والخوف من المكان الفارغ، يشعر به الفلسطيني محمد، عندما يجد نفسه في مكان غريب، يحيطه الصمت. لم يسمع سوى حركة محرّك عبّارة تقترب منه، وهو يقطع عرض النهر. لم يصدّق صاحب العبّارة النهرية البولندي أنّه يرى أمام عينيه كائناً غريباً. يأخذه إلى بيته، ويتكتم على وجوده. بالأسود والأبيض، يُراد بـ«اليوم هو الآن» (25 دقيقة) توافقاً مع مناخ معتم، يلفّ عوالم كائنَين تلاقيا في ظرفٍ عجيب. الوافد العربي من بعيد يريد بلوغ ألمانيا، وصاحب العبّارة يريد أحداً معه، يكسر بوجوده عزلته ووحدته المؤلمة. في البيت، يتفاهمان بلغتين مختلفتين. التكرار والإشارة يُقرّبان المعاني. الكلمات التي تتناثر منها توحي برغبة الفلسطيني في الرحيل من المكان إلى طرف آخر من الحدود، والمقيم يريد التخلّص من حصاره بانفتاح ما.

في أوكرانيا، شاب ينشد خلاصاً من ورطة وجوده في زمن الحرب. يؤثّث «نحن لسنا أمواتاً بعد» (34 دقيقة) وجوده في مدينة صاخبة ليلاً. يمضي الشاب مع أصدقاء يريدون تمضية سهرة ممتعة. حيرته تنغص عليه متعة المشاركة. تلبية الخدمة العسكرية غير محسومة، كفكرة السفر إلى بلدٍ آخر. الخوف من المقبل يُحيل وجوده إلى عذاب، ويسحبه إلى انعزال.

القصّة المُكرَّرة للجَدّ عن وجوده السلميّ في الجزائر، إبّان فترة استعمار فرنسا لها، تُقلق حفيده أكثر مما تقنعه بصحّتها. هناك شيء غامض فيها. شيء محذوف لا يُراد له الظهور، فيمنعه من تصديقها. «لا حلّ إلا بإعادة سردها تخيّلاً»، هكذا يقرّر الشاب الفرنسي في «ذكرى ذكرى» (15 دقيقة)، كحلّ يُنهي حيرته. بالرسومات البارعة لخورخي غونزاليس، ينسج عالماً افتراضياً يقارب ذاك الذي عاشه جدّه في الجزائر. يورّطه بأعمالٍ وحشية، وبقتل مواطنين أبرياء. أحداثٌ ووقائع متخيّلة تتوافق مع سلوك جنود مستعمرين، يعاكس بها الرواية التي طالما ردّدها جَدّه، بأنّه اصطاد في ربوعها أرنباً ببندقيته، ومن بين رمال الصحراء التقط عقرباً، يحتفظ به إلى اليوم مُحنّطاً في مكتبه.

مقاربات لأحوال بشر وظروف أفراد يعيشون زمناً مضطرباً، تجد جُلّها . في متون وأساليب اشتغال الأفلام القصيرة الفائزة . مساحة رحبة للتعبير عنها ببلاغة سينمائية نادرة. الجمالي فيها مُبهر، والمفارقة، كعنصر ملازم للقصير، لا تفارقها. قصصها تحاكي واقعاً، منقولاً إلى الشاشة بإيجاز بيانيّ يشبه السحر، ويفصح عن بعض معاني «الزمن الفيلمي» العجيب.

«ذكرى ذكرى» لباستيان دوبوا: أفضل فيلم تحريك (الملف الصحافي للفيلم)

> مقاربة وضع بشريّ مأزوم يواجه الإنسان فيه أسئلة مقلقة

جديد إيدي مورفي: كوميديا أخفّ من اللازم

محمد بنعزيز

في «المجيء إلى أميركا» (1988)، لجون لانديس، ذهب أكيم (إيدي مورفي) شاباً إلى نيويورك، بحثاً عن زوجة. بعد 33 عاماً، عاد ملكاً شيخاً، للبحث عن ولي عهد، في زيارة جديدة إلى أرض الأحلام، في «المجيء إلى أميركا 2» (2021) لكريغ بروير. وجد الملك أكيم الحلّ لمشكلته، بفضل مستشاره وحاجب أسراره، الذي يتوقع المصائب ويحتاط لها.

في الفيلم، نكتشف أميركا والنظرة إلى أفريقيا بدقيقة واحدة، في صالون حلاّق عجوز، يُزعجه تحوّل الرجال إلى نساء، وتضايقه كثرة القوانين المضادة للتحرّش، والتي تمنع لمس صدور النساء. نكتشف النظرة التي تختزل أفريقيا في كونتا كينتي، أو إيبولا، أو عيدي أمين. يحتاج المتفرّج، كي يفهم السياق، إلى الانخراط في الضحك على ما هو مُبكٍ. يؤدّي وصف الظروف إلى جعل النكتة أعمق، ويسمح بربطها بباقي المَشاهد. كوميديا تحاول أنْ تكون خفيفة جداً، رغم أنّها تتناول مواضيع ثقيلة وأليمة.

للتوضيح: كونتا كينتي بطل رواية «جذور» (1977) لأليكس هيلي، الذي اختُطف من أفريقيا ليُصبح عبداً في أميركا، قبل أنْ تحرّره حرب الانفصال الأميركية. حروب أفريقيا لم تخمد بعد، كعلاقة مَملكة زامونداً بجارتها الجمهورية العسكرية.

كيف يدير الملك أكيم علاقة مملكة زامونداً بجارتها، جمهورية نكسدوريا، التي يحكمها عسكريّ يدمن على تقليد نياشين زائدة؟ يتصنّع مُكرهاً المواقف الهزلية للملك. يبتسم من حماقات القائد الهُمام. تساعد السخرية على تخفيف الصدامات. هذه صورة ساخرة لعسكاريتارية أفريقية، تعتمد على السلاح والروابط الدموية للاحتفاظ بالسلطة.

هذه كوميديا ملكية في عصر الجمهوريات، بعد أنْ جرفت الثورة الفرنسية والحروب النابليونية المَلكيات، في زمنٍ سمّاه غوستاف لوبون «عصر الجماهير» (1895). للتلاؤم مع هذا الوضع الخطر للملوك، أخفى الأمير هويته، وتنكّر في زيّ شخص فقير، ليصون حريته أثناء تجوّله بين الجمَاهير، في شوارع نيويورك.

تخلّص البطل من الأبّهة الملكية في الفيلم الأول. في الفيلم الثاني، يُرفَع مُتشرّد إلى مرتبة أمير. تواجه مملكة زامونداً تهديداً، لأنّها بلا ولي عهد ذكر، يحافظ على استمرارية المملكة. أكيم ملك أنجب البنات فقط (بمنطق أفريقيا). لا يليق لابنةٍ أنْ تتولّى ولاية العهد. لكنْ، هناك سرّ يحلّ مشكلة ولاية العهد. النتيجة: دولة أفريقية تستعير أميراً من أميركا. شابٌ نيويوركي، بسروال جينز ممزّق وحزام مرتخٍ، يصير فجأة أميراً أفريقياً، وعليه أنْ يتعلّم عاهة تقديس النسل العريق للأجداد. هذا سلوك غريب بالنسبة إلى وعيه. يتعرّض الابن لاختبار، ليُثبت أهليّته للحكم. يصرّح الملك، نصف الحداثيّ، أمام الأمير مُقرّاً: «سلوكك غريب عن مملكتي، لكنّه يعجبني». هكذا يتمّ تحديث المملكة. واضحٌ أنْ الملك يطبّق نظرية تشارلز داروين: «البقاء ليس للأقوى ولا للأذكى، بل للأكثر استجابةً للتغيير». أسلوبياً، اختار جون لانديس كوميديا أخفّ من اللازم. كوميديا موجّهة إلى جمهور أنهكته كورونا والحملة الانتخابية.

> اكتشاف أميركا والنظرة إلى أفريقيا في صالون حلّاق عجوز

مورفي «في أميركا»: كوميديا ملكية في عصر الجمهوريات (الملف الصحافي للفيلم)

النص الكامل
على الموقع الإلكتروني

أقوالهم

كنتُ ملحقاً صحافياً لأناس كثيرين. عملتُ مع أكبر السينمائيين. أطلقتُ شكلاً جديداً لهذه المهنة. أستطيع القول إننا تمرّدنا عليها. لم نعد نهتمّ بالأقاويل والشائعات والموازنة وعدد الكومبارس المستعان بهم في الأفلام، بل بنوايا صنّاع الفيلم. كنا نتعامل مع أفلام تثير اهتمامنا، فنفسّرها بتقديم ملفات صحافية مليئة بالمعلومات.

برتران تافرنييه

أفلام مارون بغدادي (الصورة) قاومت الزمن. العودة إليها تُفهِم بعض ما يضمره الواقع اللبناني، غير المتغيّر كثيراً منذ السبعينيات، في وطنٍ يُكرّر مآسيه وكتابة التاريخ نفسه بأسماء جديدة. يكاد لا يوجد فيلم له ليست الحرب معاناة شخوصه وناسه وأبطاله. نقل المعضلة اللبنانية بتعقيداتها، مُصوّراً جنون تلك المرحلة التي أخذت البلد رهينة للوحشية والهمجية.

هوفيك حبشيان

أفعالهم

A La Recherche De L'Homme A La Camera للفرنسية التونسية الأصل بثينة بوسْلامة (الصورة): بعد مشاهدتها صديق طفولتها في جينيريك «العودة إلى حمص» لطلال ديركي، بدأت المخرجة رحلة البحث عن أسامة «الرجل ذي الكاميرا» الذي وثّق التظاهرات وقمعها الأسديّ، منذ بدايتها عام 2011، لغاية اعتقاله عام 2012. البحث دام 3 أعوام، وقادها من جنيف إلى الحدود السورية.

Dans La Maison للبلجيكية المغربية الأصل كريمة سعيدي (الصورة): بعد أعوام طويلة من افتراق إحداهما عن الأخرى، لأسبابٍ جمّة، تلتقي المخرجة مجدّداً والدتها عايشة، المُصابة بمرض ألزهايمر. من بروكسل إلى طنجة، وبين الحياء والاعتراف، تنبثق آلام وتمزّقات وحِداد وأفراح. فيلمٌ عن مغامرة عائلة موسومة بالمنفى.

أخبار

◆ أصدر الناقد السينمائي الأردني عدنان مدانات «كتابات في فهم السينما» («خطوط وظلال للنشر والتوزيع» في عمّان)، المؤلّف من قسمين: يتضمّن أوّلهما دراسات بعنوان «الموجز في تاريخ السينما»، ويحتوي ثانيهما على مقالات بعنوان «سينما إضافية» منشورة . بحسب مُقدّمة الكاتب . «على فترات متباعدة في الصحف اليومية». يُشير مدانات إلى أنّ القارئ «سيُلاحظ بعض التكرار في الأفكار، وحتى الجُمل في ثنايا مقالات متعدّدة» ويؤكّد على سعيه «قدر الإمكان إلى شطب الكثير مما وجدته يتكرّر في مواضع أخرى، لكنّي أبقيت على القليل الذي وجدتُ أنّه يخدم سياقاً آخر ويُساعد على توضيح فكرته» (ص. 7). ويروي مدانات، في المقدّمة نفسها، أنّه تردّد كثيراً قبل الشروع في إعداد مواد هذا الكتاب «بسبب ما يتداوله النقّاد من ملاحظات حول الحاجة إلى كتبٍ مؤلّفة وليس مجمّعة من مقالات» مضيفاً أنّ ما شجّعه على المضي في الإعداد «طبيعة المواد التي اخترتها، والتي يجمعها هدف التوعية بالسينما وفهمها ككلّ، وليس التعريف بالأفلام، وفهم كلّ فيلم على حدة». ويُشدّد على أنّ أهمية هذا الهدف متأتية من «واقع أنّ سهولة تعلّم التقنيات الرقمية السينمائية أغرت الكثيرين لخوض مجال إخراج الأفلام». لكنّه يُلاحظ أنّ «غالبية الأفلام المُخرجة من قبل هؤلاء قد تكون متقنة حرفياً، أي من حيث الشكل، إنّما ضعيفة من ناحية المضمون والبنية السردية الدرامية» مُعيداً سبب هذا إلى «نقص الجانب الثقافي من السينما».

◆ بعد نحو 25 كتاباً يغلب عليها طابع التوثيق المعلوماتيّ والموسوعيّ في شؤون سينمائية، أبرزها مرتبطٌ بالسينما العراقية والسينما الكردية، أصدر الباحث والمؤرّخ السينمائي العراقي مهدي عباس كتاباً جديداً بعنوان «أفلامنا العراقية من 1946 إلى 2020» باللغتين العربية والإنكليزية، في بغداد. ويتضمّن الكتاب تفاصيل متعلّقة بالأفلام التي أنتجتها السينما العراقية بعد 75 عاماً على انطلاقتها، و«يُشكّل مرجعاً ودليلاً عراقيّين للعاملين جميعهم في السينما»، كما في تعليقٍ نقديّ، أضاف أنّ عباس «لا يزال، بجهدٍ فرديّ خالص، يواصل عمله في التوثيق السينمائي للمُنجَز العراقي».